إلى علمـــــاء النفـــــــس....

بعـــــض أسئلـــة الواقـــع الكئيـــه

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocZaatoutUnhappySomeQuestions.pdf

د. رمضـــــان زعطـــــوط
الجـــزائـــــر
z.ramdan@gmail.com

طرح سيغموند شلومو فرويد في آخر كتبه، وأخريات أيامه سؤالا هاما في كتابه "**توعك في الحضارة** " مفاده: **هل في مستطاع التقدم الحضاري أن يسيطر ويتغلب على الخلل الذي تحدثه ، في الحياة المشتركة ، دوافع البشر الغريزية إلى العدوان والتدمير؟.**

ورغم أنه لم يشُذ في كتابه عن نظريته الصراعية بين غرائز الحياة وغرائز الموت، لكن فكرته عن **ذئبية الإنسان** في مواجهة أخيه الإنسان وعن استحالة حبه له، وغلبة الشر على الخير كطبيعة لازمة لكل أفراد النوع البشري، تستلزم هذه الأيام استحضارا ناقدا وكاشفا في علاقته بالأحداث الصادمة والعنيفة التي صارت خبزنا اليومي بالرغم عنا .

هل تعيش الجماهير اليوم ، كما أشار فرويد في كتابه المذكور، بؤسا نفسيا جماعيا، هو من صميم وطبيعة الحضارة التي تفرض علينا مايسمى "بالعيش المشترك"؟

هل القتل الجماعي الذي تتوزعه مصطلحات قديمة ومخترعة من: القاتل المتسلسل ، إلى الذئب المنفرد، مرورا بالإرهابي بأنواعه و ألوانه ، وأخيرا– وهو الأخطر يا علماء النفس – هذا النوع من القتلة الذين يراد لهم أن يحملوا إسم المرضى النفسيين، أو المضطربين العقليين، الذين يلتحقون أو ينتسبون قبل الحادث بأسابيع إلى حركة أو مجموعة "ذات صدى إعلامي كوني" إما اختيارا أو إجبارا مثل "داعش" ؟؟

فمن هي" داعش"يا علماء النفس؟ وأين الدراسات العلمية والتوثيق الدقيق لظاهرة قتل الإنسان لأخيه الإنسان بدءا من إبني آدم .. وإنتهاء بأبناء الحضارة الحديثة ؟

ما الفرق بين "الإرهابي"، هذا المصطلح الهلامي أو الزئبقي، وبين القاتل الجماعي،وبين المريض النفسي أو "المجنون"؟

من هو هذا المكتئب، المتابع نفسيا وقضائيا، والبعيد أو القريب من جماعة دينية أو مذهبية أو سياسية؟

هل هو المريض النفسي كما نعرفه في الطب النفسي؟وما علاقة العدوانية لدى مرضاكم بما يتهمون به؟

أهو هُذاء ديني، أم ضحية غسيل مخ، منتظم من طرف أجهزة مخابرتيه ذات بعد عالمي؟

أم هو تجسيد بشري للشيطان وللشر، كما كانت النازية أو الاستعماري الاستيطاني غربيا كان أو شرقيا ؟

هل في مستطاع التقدم الحضاري أن يسيطر ويتغلب على الخلل الذي تحدثه ، في الحياة المشتركة ، دوافع البشر الغريزية إلى العدوان والتدمير؟.(فرويد)

من هي" داعش"يا علماء النفس؟ وأين الدراسات العلمية والتوثيق الدقيق لظاهرة قتل الإنسان لأخيه الإنسان بدءا من إبني آدم .. وإنتهاء بأبناء الحضارة الحديثة ؟

أليس التوحش والعدوان بعض اعراض التصحر الإنفعالي وغياب التعاطف والتفهم بسبب الوباء الذاتوي الاجتماعي، الذي هو روح عصرنا

هل صحيح أن القتل الجماعي بهذا الشكل الذي رأيناه في مدينة "نيس" نادر في أمريكا الجنوبية وفي إفريقيا) رغم المذابح العرقية والمذهبية المروعة !!)

أم هو تأثير عقاقيركم وأدويتكم على أدمغة البؤساء؟

تُراه عرض لأحد أمراض الحضارة الغربية السائدة... والسادرة؟ أليس التوحش والعدوان بعض اعراض التصحر الإنفعالي وغياب التعاطف والتفهم بسبب الوباء الذاتوي الاجتماعي، الذي هو روح عصرنا. لأن التواصل الرقمي الخالي من المودة والمشاعر وإيماءات الوجه البشري وسيمياء الحب العلائقي، من بين أسباب أخرى، أصابنا بعمى العقل وصمم الفؤاد!!!!

هل صحيح أن القتل الجماعي بهذا الشكل الذي رأيناه في مدينة "نيس" نادر في أمريكا الجنوبية وفي إفريقيا (رغم المذابح العرقية والمذهبية المروعة !!)، وأنه متوسط الحدوث في أوربا... وأنه في الحقيقة صناعة أمريكية تمت عولمتها (50% من تلك الحوادث تقع في الولايات المتحدة) ؟

هل هو نوع من الانتحار يضاف إلى أنواع دوركايم: الأناني والإيثاري واللامعياري والقدري؟..أم هو خليط جديد وإفراز نوعي للحضارة الغربية.؟

إذا كان افتراض داروين عن أصلنا الحيواني صحيحا، فلماذا لا نشهد ظاهرة الانتحار لدى أسلافنا؟ وبماذا نجيب أبناءنا إذا سألونا عن ما يقارب مليونا من البشر الذين ينهون حياتهم "اختيارا " كل عام ؟ وكلما مرت 40 ثانية وضع بشري حدا لحياته....

وتأمل معي جغرافية الانتحار ودلالاتها..... واطرح أسئلة الوجود العميقة على علماء النفس وعلماء الروح، وعلماء الحضارة، وكيف يبدو الإنسان الأول البدائي مقارنة بإنسان الحضارة العالمية ؟

تامل كيف يتناقص معدل الانتحار كلما اقتربنا من بيت الله الحرام حتى يكاد ينعدم، هل هي الصدفة أم التلاعب بالأرقام فقط؟

حاولت الحداثة وما بعدها استئصال السرديات الكبرى المفسرة لملحمة الوجود الإنساني. فامتلأ العالم اغترابا وعزلة وبؤسا، وأغرقت الخيبات، رغم انف العلمانية والعلم، سفينة الأمل والخلاص، فازداد شقاء الإنسان بأخيه الإنسان، وغدونا جميعا حسب Sarvelescu ضحايا **مثلث برمودا الحضاري:**

- تطرف تكنولوجي
- ديمقراطية لكن ليبيرالية
- وضمير أخلاقي مشوه

ولكي لا نذهب بعيدا عن كوكب أطباء النفوس وأطباء العقول.... هل يكمن بعض الجواب في **ثلاثية الرخاوي:**

- المرض النفسي: احد أقدار الشرط الإنساني
- الإدمان: احد الحلول الخاطئة او المسكنات المستعبِدة
- العلاج الأعمى : مساهمة الأطباء وعلماء النفس في بؤس المشهد

هل هو نوع من الانتحار يضاف إلى أنواع دوركايم: الأناني والإيثاري واللامعياري والقدري؟..أم هو خليط جديد وإفراز نوعي للحضارة الغربية.؟

بماذا نجيب أبناءنا إذا سألونا عن ما يقارب مليونا من البشر الذين ينهون حياتهم "اختيارا " كل عام ؟ وكلما مرت 40 ثانية وضع بشري حدا لحياته....

تامل كيف يتناقص معدل الانتحار كلما اقتربنا من بيت الله الحرام حتى يكاد ينعدم، هل هي الصدفة أم التلاعب بالأرقام فقط؟

حاولت الحداثة وما بعدها استئصال السرديات الكبرى المفسرة لملحمة الوجود الإنساني. فامتلأ العالم اغترابا وعزلة وبؤسا،

هل يكمن بعض الجواب في ثلاثية الرخاوي:
- المرض النفسي: احد أقدار الشرط الإنساني
- الإدمان: احد الحلول الخاطئة او المسكنات المستعبِدة

هل هذا العنف والعدوان والوحشية هي سبب الاضطرابات النفسية والعقلية كما هي مدونة في التصنيفات الدولية (ICD11, DSM5)، أو غير المصنفة ، أم أن العكس هو الاقرب للموضوعية؟

ما الفرق –يا علماء النفس– بين المرض النفسي كما درستموه لنا، وبين المرض الاجتماعي والروحي بل والسياسي أيضا؟

الم تستجب الحضارة الغربية لمتطلبات الحرية الجنسية، التي هي سبب الصراع الخفي القابع وراء حاجات البشر،أو هكذا تزعمون، مهما تنوعت الأقنعة التي تلبسها اتقاء لغضب الأنا الأعلى في تمظهراته الفردية والجماعية!!. لقد أصبح الزواج المثلى حقا من حقوق الإنسان تماما كما التطبيع مع الكحول والمخدرات التي ستصبح في العشريتين القادمتين كلأ مباحا للقطيع الجماهيري المتحضر. وفي مفارقة مضحكة أصبح الانتحار، أو قتل الإنسان لأخيه، حق من حقوق الإنسان تحت عنوان الموت الرحيم أو الكريم ....وقد فعلها فرويد نفسه!!

قلتم لنا عن طريق منظمة الصحة العالمية أن:

- ربع أو خمس البشرية يعاني من اضطراب نفسي، أهمها القلق والاكتئاب.
- 70% من هذه الاضطرابات يبدأ في الطفولة أو المراهقة.
- 50% ممن يعانون من اضطراب نفسي لا يتلقون أي نوع من العلاج.
- 80% من المنتحرين عانوا من اكتئاب شديد.

وإذا كانت الحضارة وثقافتها بكل تمظهراتها تعبيرا عن هذه "**الفوضى النفسية**"، (وقد شهدتم طغيان استهلاك الكحول وعلاقته بالاضطرابات والعنف لدى مشجعي كرة القدم في بطولة العالم هذا العام في فرنسا). في فرنسا التي شهدت هذه الأيام أحداثا منكرة، فإن كل واحد من أربعة فرنسيين فكر في الانتحار !!

إذا كان ذلك صحيح ولو نسبيا.. فأية كارثة تنتظر الحضارة ... من باب المرض النفسي... داء ودواء؟

هل الكَبَدُ المصاحب للوجود البشري مصيبة، مآلها عاجلا أم آجلا التبرم بالحياة والضيق بالعيش والسعي إلى إنهائه... كعنوان لهزيمة قانون البقاء؟

يُحكى أن بحوثا جادة– وإن كانت قليلة – لم تجد فرقا جوهريا بين "الإرهابيين " وبين القتلة الجماعيين بكل أطيافهم، سواء في المدارس أو الساحات أو الملاهي أو في وسائل النقل حيث عوامل الاختطار هي هي: الشعور بالعزلة، والاكتئاب ، والحنق والغضب، والشعور بالخزي، وفقدان الأمل، والصدمات العاطفية، والحياة الأسرية المنكوبة والمكروبة، والشعور بالاضطهاد والتهميش.بل ويرشح من تلك الدراسات عدم ظهور علاقة دالة بين الجنوح للعدوان وبين التدين..مهما كان نوع الدين !!!

ونسائل الرخاوي وزملاءه وبني طائفته النفسية والنظرية، وهم الذين خبروا جغرافية الوعي لدى المرضى وحاولوا تفسيرها عودا إلى تاريخ الفرد والنوع :

ما دلالة المرض النفسي في علاقته بالإدمان والجنون والعنف والعدوان ثم الانتحار في أيامنا

– العلاج الأعمى : مساهمة الأطباء وعلماء النفس في بؤس المشهد

ما الفرق –يا علماء النفس– بين المرض النفسي كما درستموه لنا، وبين المرض الاجتماعي والروحي بل والسياسي أيضا؟

هل الكَبَدُ المصاحب للوجود البشري مصيبة، مآلها عاجلا أم آجلا التبرم بالحياة والضيق بالعيش والسعي إلى إنهائه... كعنوان لهزيمة قانون البقاء؟

بحوثا جادة– وإن كانت قليلة – لم تجد فرقا جوهريا بين "الإرهابيين " وبين القتلة الجماعيين بكل أطيافهم

يرشح من تلك الدراسات عدم ظهور علاقة دالة بين الجنوح للعدوان وبين التدين..مهما كان نوع الدين !!!

نسائل الرخاوي وزملاءه وبني طائفته النفسية والنظرية، .... ما دلالة المرض النفسي في علاقته بالإدمان والجنون والعنف والعدوان ثم الانتحار في أيامنا هذه؟

هذه؟

المشهد المفارق في المسرحية الإعلامية هذه الأيام أن الفاعل المجنون إما أن يموت انتحارا، أو قتلا !!..... **ونتسآل عن القتلة الأحياء مثل يربفيك؟ وعن صفحتهم النفسية؟**

هل هو طغيان النموذج الخطي في الحضارة الغربية السائدة والسادرة، على حساب النموذج التآلفي، الإيقاعي التناوبي كما يسأل الرخاوي دون مجيب؟

هل هو التنكر للإيقاعات الحيوية في علاقة الإنسان:

1. **بنفسه**
2. **بأخيه**
3. **وبالكون**

مما انشأ اضطرابات نفسية و عقلية، لا يجدي معها إلا ربط الموجود بالواجد الواحد " وأن إلى ربك المنتهى"؟

هل هو غياب التدين الأصيل، في مقابل حضور التدين القشري و الجنون الحضاري، وان لم يجد طريقه إلى المصنفات العالمية بعد؟

هل صحيح أن العلاج النفسي والدوائي في الطب النفسي متهم كمشكلة لا كحل؟

اذا صح أن ظاهرة تخدير الوعي بالعلاج الدوائي النفسي – كما عند الرخاوي – اخطر من ظاهرة اضطراب الوعي لدى المريض النفسي .بل إن صاحب كتاب الأدوية القاتلة " deadly medicines" يذهب الى ابعد من ذلك ..وقد تبين ان ثالث اسباب الوفيات في امريكا هو أخطاء الأطباء...فأين الحل يا علماء وأطباء النفس؟

أين علماء النفس الاجتماعي، وهذا اختصاصهم وميدانهم خاصة المسلمين منهم، لتشريح هذا العنف وتلك الوحشية المنسوبة ،عمدا أو جهلا، للإسلام في أذهان البشر اليوم ؟ وما ذنب المرضى في كل هذا "العبث الوجودي"؟

<u>و الى العلامة الرخاوي:</u>

ما جديد إعادة كتابة النص البشري(العاقل والمجنون) في علاقته بالنص الإلهي فيما نراه اليوم من عنف وعدوان وتوحش؟

من نصدق يا أستاذ..

– روسو في حكايته عن المتوحش الطيب و tabula rasa ....وعليه فاللوم على المجتمع وقيمه؟

– ماركس و ماديته الجدلية... وعليه فاللوم على توزيع الثروات والفقر والحرمان وهما والدا

هل هو طغيان النموذج الخطي في الحضارة الغربية السائدة والسادرة، على حساب النموذج التآلفي، الإيقاعي التناوبي كما يسأل الرخاوي دون مجيب؟

هل هو التنكر للإيقاعات الحيوية في علاقة الإنسان:
1. بنفسه
2. بأخيه
3. وبالكون

هل هو غياب التدين الأصيل، في مقابل حضور التدين القشري و الجنون الحضاري، وان لم يجد طريقه إلى المصنفات العالمية بعد؟

أين علماء النفس الاجتماعي، وهذا اختصاصهم وميدانهم خاصة المسلمين منهم، لتشريح هذا العنف وتلك الوحشية المنسوبة ،عمدا أو جهلا، للإسلام في أذهان البشر اليوم ؟ وما ذنب المرضى في كل هذا "العبث الوجودي"؟

الى العلامة الرخاوي:
ما جديد إعادة كتابة النص البشري(العاقل والمجنون) في علاقته بالنص الإلهي فيما

نراه اليوم من عنف وعدوان وتوحش؟

أم هو مرض تنكره البشرية وأطباؤها...ذلك هو "نسوا الله فأنساهم انفسهم ".

خلاصة القضية ...تُوجز في عبارة
لقد لبسنا قشرة الحضارة
و الروح جاهلية !!

العنف والعدوان؟

– أم أن بعض الحق فيما يقوله أمثال steven piknker من التطوريين الذي فجأنا بكتابه *The Better Angels of Our Nature : The Decline of Violence in History and Its Causes* (2011) والذي يزعم فيه أننا واهمون أصلا ...إذ أن هذا العصر هو أقل عنفا ووحشية مقارنة بتاريخ الجنس البشري ؟

– أم هو مرض تنكره البشرية وأطباؤها...ذلك هو "نسوا الله فأنساهم انفسهم ".

– أم هي بداهة شاعر... خلاصة القضية ...تُوجز في عبارة
لقد لبسنا قشرة الحضارة
و الروح جاهلية !!

أم أن الخطب جلل ، والعقبة كؤود، والزاد غربي وغريب ! ؟

*** *** ***

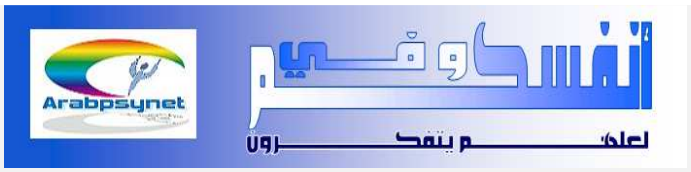

الدليـــــــــل – سلسلة اصدارات " وفي انفسكم"

(الاصدار الاول 2016)

فهارس و مقدمات كامل الأعداد

من العـــدد الاول (2013)

الـى العـــدد الرابع عشر / الاخير (2016)

رابط تحميـــل كتاب الدليـــل

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=233&controller=product&id_lang=3

الدليـــــــــل – سلسلة اصدارات " الراسخون"

(الاصدار الاول 2016)

فهارس و مقدمات كامل الأعداد

من العـــدد الاول (2013)

الـى العـــدد السابع عشر / الاخير (2016)

رابط تحميـــل كتاب الدليـــل

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=232&controller=product&id_lang=1

*** *** *** ***

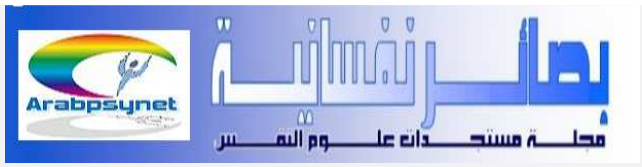

الدليـــــــــل - مجلة بصائر نفسانية

ملخصات كامل الأعداد

من العـــدد الاول (شتاء و ربيع 2010)

الـى العـــدد الثالث عشر / الاخير (شتاء 2015 -2016)

رابط تحميـــل كتاب الدليـــل

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=51&controller=product&id_lang=3

الدليـــــــــل – سلسلة اصدارات " ومـــا سوهـــا"

(الاصدار الاول 2016)

فهارس و مقدمات

من العـــدد الاول (2015)

الـى العـــدد الرابع / الاخير (2016)

رابط تحميـــل كتاب الدليـــل (تحميل مر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=234&controller=product&id_lang=3